فلسفة العمارة

عنوان المحاضرة

الوجود والعمارة

الوجود هو احد المباحث الاساسية في الفلسفة، كما هو حال المعرفة مثلا

والوجود هنا لايخص الوجود الانساني لوحده، وانما يعني الوجود بوصفه مفهوما كونيا عاما

والبحث في الوجود هو انشغال قديم في الفلسفة، كما انه انشغال مايزال يتجدد فيه القول

ترى ماهو الوجود في الفهم الفلسفي

عند افلاطون فيلسوف الاغريق، الوجود هو (المثل)

والمثل عند افلاطون هو عالم غير عالم الواقع الذي نعيشه

في عالم المثل هنالك وجود مثالي واحد لكل الموجودات، التي هي في الواقع تكون في صور متعددة ومختلفة

غير ان لها نسخة مثالية واحدة، موجودة في عالم المثل، وهو طبعا عالم عقلي يفترض افلاطون وجوده، وليس له وجود واقعي كما العالم الذي نعيش فيه

فالوجود عند افلاطون هو المثل

حيث الصور الفريدة لكل شيء متعدد في الواقع

وعند تلميذه ارسطو الوجود هو (طاقة وقوة محركة)

يمكن التعامل مع مفهومي افلاطون وارسطو من خلال مقولة

ان الوجود هو ما يمنح الموجودات وجودها

واذن فمرة تمنح المثل الاشياء المتعددة وجودها، ومرة ان الوجود هو قوة محركة تمنح الموجودات طاقتها على الوجود

عند هيدغر الوجود يمنح الموجودات وجودها، وتتكشف حقيقة هذه الموجودات من خلال تكشفها ولا اختفاءها وتجليها من خلال الوعي الانساني

فالوجود يفيض بنوره على الموجودات ولولاه لما امكن لها ان تظهر او ان نراها

كما ان الوجود الذي يمنح الموجودات وجودها هو غير الموجودات

ثمة اذن الوجود وثمة الموجودات

وكما ان هنالك وجود فهنالك ايضا عدم

الوجود يكون موجود في حضن العدم وهو محاط به

وفي وجود الموجود يحدث عدم العدم

ومن هنا يرى هيدغر ان العدم موجود، ويمكن ان نشعر بوجوده في حالة القلق الشاملة التي قد نمر بها في احيان، بحيث تغيب عنا الاشياء ونفقد الاحساس بالعالم فنكون عندها في العدم

وحين نعود الى اليقين بالاشياء من حولنا، تعود هي الى الوجود فيولد عندها الوجود من داخل حضن العدم

في معاينة الفلسفة للموجودات، تفتش الفلسفة فيها عن الوجود وعن كيف يمنحها الوجود وجودها، وتفتش عن المعنى الكامن في كل ماهو موجود

اي انها تفتش عن مهمة الموجود في الوجود بوصف العالم هو وجود

غير ان المعنى في الاشياء والعالم والذي تتساءل عنه الفلسفة، هو ليس موضوعا للاكتشاف وانما هو موضوع للبناء

لأن معنى الاشياء في العالم هو ليس احد ممتلكاتها وما يمكن ان يختبء فيها

وانما معنى الاشياء في العالم هو نتاج دورها في الوجود الانساني، ومهمتها في هذا الوجود

ومن هنا تدخل الانسان في ان يمنح الاشياء معناها

ومن ثم يكون معنى الاشياء هو موضوع للبناء في ضوء معرفة الانسان وفكره واعتقاده

غير ان ذلك المعنى الذي نبنيه في الاشياء لا يكون متحررا منها، وانما يكون من خلال الكشف عن ممكناتها وقدرتها على الفعل والدلالة والمعنى

ويكون ذلك في قدرتنا على الكشف عن ممكنات وقدرات الاشياء على الوجود

وافضل ما يمكن ان يكشف عن معنى الاشياء وممكناتها على الوجود، هو العمل الفني

حيث تتكشف في العمل الفني ممكنات الوجود وتتفتح نافذة الحقيقة، بمعنى تكشف صور ووجوه الاشياء، ومن دون الفن تبقى الاشياء متخفية

الفن هنا هو قدرة الانسان على الابداع والكشف عن ممكنات وجود وعطاء الاشياء في الوجود

وللفن بالطبع اساليبه في الكشف عن ممكنات وجود الموجودات

وقد يكون التخفي هو بعض الوجود وجزء من موجودية الوجود كما نراه في الفن

حيث ان الصراع بين التكشف والخفاء هو حقيقة كل موجود

وحيث ان الكشف التام عن الموجود هو الغاء له

ومن هنا سياسات الفن في الغموض والايحاء والاخفاء، وتلك نوايا ابداعية تسعى الى اثراء احساسنا بموجودية اشياء العالم

حيث ان العمل الفني هو الدفعة التي تصبح الحقيقة فيها حدثا، اي ان تكون حاضرة كما يحضر الاكتشاف

فيكون وجود الاشياء هو انتشارها في الحضور، اي تجليها من خلال الوعي الانساني في اشكال حضورها المختلفة

ويمكن تلمس وادراك وجود الاشياء من خلال استعمال اللغة في قراءة العمل الفني وترجمته وتفسيره

حيث ان اللغة هي صورة الوجود وشكل انبناء حضور الموجودات وهي التي تمكننا من ادراكه

اي ان الوجود يتحدث عن طريق الانسان بوساطة اللغة، حين نقرأه ونفسره ونفهمه

تعد الفلسفة الانسان بوصفه الكائن او الموجود الوحيد الذي يدرك معنى الوجود

ومن هنا قدرته على تفسير الموجودات في العالم

ومن هنا مسؤوليته ان يوجد وان يتحمل صنع كيفية وجوده

كما ان الوجود الانساني مفتوح على صيرورة دائمة، اذ يمكن للانسان ان يتدخل في طبيعة وجوده، وانجاز الكثير من الممكن في ذلك

ومن طبيعة وجود الانسان، ادراكه انه موجود في هذا العالم، وان وجوده في العالم يجعل من احدهما مكونا في وجود الاخر

فالعالم المحيط بالانسان هو من مكونات وجوده، حيث يسكن العالم في الذات، كما تسكن الذات في العالم

ويعد السكن هو الخصيصة الاساسية الجوهرية للوجود الانساني

اذ ان الانسان موجود في العالم بوصفه ساكن فيه، بكل معنى السكن من اقامة في العالم وعيش فيه، بحيث يصنع احدهما الاخر، الانسان والعالم، ويتدخل في وجوده

الانسان يتدخل في صنع العالم وتجلي ممكناته، كما يفعل ذلك في الابداع الفني كما اشرنا

كما ان العالم يتدخل في الوجود الانساني، اذ يكون الانسان موجود في العالم وحصيلة ممكنات وجود العالم ايضا

ومن هنا سياسة الانسان في صياغة وجوده في العالم، وصياغة موطئ قدم وجوده في العالم

وتلك مهمة العمارة، في ان تساعد الانسان على ايجاد موطئ قدم له في العالم

ويكون ذلك في صنع سكن الانسان ومأواه في العالم

حيث ان الفضاء المعماري الذي تنشغل العمارة في صنعه بكل منتوجاتها، هو تعيين للفضاء الوجودي للانسان

على وفق فهم ان الفضاء الانساني الذي تصنعه العمارة هو فضاء وجودي

كما ان الوجود الانساني هو وجود فضائي

اي انه وجود يستدعي صنع واشغال الفضاءات في العالم

ان الفضاء هو احد ابعاد الوجود الانساني وليس احد ابعاد الذهن او الادراك

ومن هنا دور العمارة في بناء وتشكيل الفضاء في حياة الانسان

من خلال ان مهمة العمارة هي ابداع الفضاء، بمعنى اضفاء طراز خاص على جزء من البيئة الانسانية

ومن خلال ان كل عمارة هي بناء للفضاء بواسطة هدف او توظيف او استعمال يخص الفعل الانساني

كما ان الفضاء المعماري هو تعيين للصور البيئية، من خلال تشكيلها في هيئة معينة

حيث تكون البيئة التي تتدخل العمارة في تشكيلها، هي جزء ضروري من التوجه العام للانسان ولوجوده في العالم

كما ان النشاط الانساني يكتسب معناه من خلال علاقته بأماكن معينة

ومن خلال تنظيم امكنته، يفرض الانسان نظامه في العالم، وبذلك يقيم علاقات مع العالم والاشياء ويخلق الانسان المعنى في العالم من خلال تنظيم امكنته

اذ تحيل العمارة المكان بوصفه وجود الى مكان بوصفه موجود

من خلال ما تنتجه من امكنة بكل تنوعاتها

ومن خلال جهد العمارة في تشكيل الفضاءات والامكنة، ومنحها خصائص تميزها، عن ان تكون امكنة في شكل اولي لم يحظى بتدخل الانسان

وبذلك تمنح العمارة الامكنة المعنى في تعميق علاقتها بالانسان

حيث ان على المرء ان يعيش في عالم يزخر بالاماكن ذات المعنى، اماكن تعنيه وتعني له

اذ ان الاحساس بالمكان والارتباط به هو ما يوجد الاماكن ويصنع تفردها

وذلك فعل العمارة الابداعي

ان التعلق بالمكان والارتباط به هو جزء من انسانية الانسان وهو حاجة انسانية

كما ان للمكان مدى واسع من المعاني، وتلك من صنيعة مديات الوعي الانساني بالمكان

وفي ضوء ذلك يكون البيت مثلا هو احد اهم قوى الدمج الانسان في العالم

وهو بمثابة موضع يرقب منه الانسان العالم ويطل عليه

ويكون للانسان معه ارتباط نفسي وروحي كبيرين

وفي البيت كما في امكنة الانسان الاخرى يتحقق دمج عناصر متعلقة بثقافة الانسان مع عوامل البيئة الطبيعية

وبذلك يتحقق فعل سكنى الانسان في هذا العالم وانتماءه له